الباب الثالث

القيم الأخلاقية فى الإسلام

الفصل الأول: **القيم الأخلاقية**

توضيحها .. وظائفها .. تنميتها.

الفصل الثانى: **الأخطار التى تهدد المجتمع الإسلامى فى الأخلاق والعادات والتقاليد.**

الفصل الأول

القيم الأخلاقية
توضيحها .. وظائفها.. تنميتها

أولا: توضيح القيم

القيم الإسلامية مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله كما صورها الإسلام، تتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة.

ولقد حدد الإسلام غاية الأخلاق التى ينبغى أن يتم العمل الخلقى فى ظلها بأن يريد الإنسان من عمله وجه الله تعالى، ولهذا قال الله تعالى:

- ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ (١).

ونرى فى هذه الآية بالإضافة إلى جعل الله غاية الأخلاق ابتغاء وجهه فإنه قد ربط بين هذه الغاية وبين خيرية الأخلاق والجزاء فى الآخرة.

ولا ينبغى أن يفهم من هذا أنه ليس للسلوك الأخلاقى أية قيمة بدون الغاية الأخلاقية، إذ إن له قيمة أيضا، لكن قيمته ناقصة، ولا ينال ثوابه فى الآخرة وإنما ينال ثوابه الطبيعى فى الدنيا لأن الله يكافئ من يعمل من أجله، أما من يعمل للناس أو للدنيا فإنه ينال مكافأة عمله من الناس أو من الدنيا، ولا نصيب له عند الله فى الآخرة.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ (٢).

التفاضل بين القيم:

كما أن القيم الأخلاقية يفضل بعضها بعضا أو تزيد درجة قيمة بعضها على بعض، وقد يرجع هذا أحيانًا إلى الظروف والملابسات التى يتم فيها العمل الأخلاقى، فالعمل الأخلاقى

(١) سورة الإنسان من الآية ٨ - ٩.

(٢) سورة الشورى الآية ٢٠.

فـي ظـرف معين له قيمته وذلك كالإنفاق فى ظرف الرخاء غيره فى حال الضيق، ومسـاعدة إنسـان فى حال احتمال أن يجد مسـاعدة من الآخرين غيرها فى حال فقد هذه المساعدة، وإن كان مقدار المساعدة ونوعها واحدًا فى كلتا الحالتين.

ولهذا مدح الله الذين يطعمون الناس وهم فى حاجة إلى هذا الإطعام:

- ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (١).
- ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٢).

وقـد يرجع هذا التفاضـل أحيانًا أخرى إلى نوع العمل الأخلاقـى، فالفرض مثلاً أفضل من النافلة، قال تعالى فى الحديث القدسـى: «وما تقرب إلىّ عبدى بشـىء أحب إلىّ مما افترضت عليه.. إلى آخر الحديث» [البخارى].

والعمـل المسـتمر خير من المنقطع، ولهذا قال الرسـول ﷺ: أحب الأعمـال إلى الله تعالى أدومها، وإن قل» [رواه البخارى].

ولما سـئلت السيدة عائشة - رضى الله عنها - عن عمل الرسول ﷺ قالت: «كان عمله ديمة [البخارى]. «وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته» [رواه مسلم].

ثانيًا: وظائف القيم الخلقية

للقيـم الخلقية وظائف عديدة فهى تنعكس على سـلوك الفرد قولاً وعملاً، كما يكون للقيم وظائـف نحـو المجتمع، بل ويمكـن أن يمتد أثرهـا إلى العلاقات الدولية فى حالتى السـلم والحرب، وسنتناول ذلك - بإيجاز - فيما يلى:

(أ) على المستوى الفردى:

- أنهـا تعطى الفرد فرصة ودفعة نحو تحسـين وعيه، ومعتقداته، وسـلوكياته، لتتضح الرؤية أمامه، وبالتالى تساعده على فهم العالم حوله.
- أنها تعطى الفرد فرصة للتعبير عن الذات، مؤكدا ذاته فى إطار العبودية الصحيحة لله، وعن فهم عميق لها ولإمكانياتها.
- أنهـا تعمل علـى إصلاح الفرد نفسـيا، وتوجيهه نحو الخير والإحسـان وكافة مكارم الأخلاق التى تضمن له حياة نظيفة فى الدنيا وجزاء أوفى فى الآخرة.
- أنها تعمل على ضبط الفرد لشـهواته، ومطامعه، فلا تتغلب على فكره ووجدانه لأنها

(١) سورة الإنسان الآية ٨.

(٢) سورة الحشر الآية ٩.

تربط سلوكه وتصرفاته بمعايير وأحكام أهمها إرضاء الله سبحانه وتعالى، وبالتالى يتصرف فى ضوئها وعلى هديها.

- أنها تبعد الإنسان عن النقص البشرى الذى يجعل الحياة جحيمًا لا يطاق، وذلك من جراء صفات أبرزها الجبن والخوف والاستهتار إلى غير ذلك من صفات ينبغى الابتعاد عنها.

- تسمو بالإنسان وترفعه فوق الماديات المحسوسة حتى لا يرتبط بها ارتباطًا كليًا فتغلب عليه حيوانيته، بل ترفعه إلى سماء الإنسانية الرفيعة بكل ما فيها من جمال وقيم ومبادئ سامية لا تتحقق إلا بالتمسك بالأخلاق الإسلامية ومنهج الإسلام فى الحياة.

إلا إنه يجب ألا ندرك هذه الوظائف منفصلة عن بعض، بل هى متداخلة متكاملة بعضها مع بعض، وبالتالى تحقق ذاتية الفرد وتجعله يحس ويستشعر عظمة وقيمة حياته، إنها فى النهاية تحقيق لإنسانية الإنسان، ورضاه عن نفسه برضا الله تعالى عليه باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

(ب) على المستوى الاجتماعى:

للقيم الخلقية وظيفتها على المستوى الاجتماعى، حيث إنها تحقق للمجتمع وظائف عديدة منها:

- تحفظ على المجتمع تماسكه، فتحدد له أهداف حياته، ومثله العليا، ومبادئه الثابتة المستقرة التى تحفظ له هذا التماسك والثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة ومتواصلة.

- تقى المجتمع من الأنانية المفرطة، والنزعات والأهواء والشهوات الطائشة التى تضر به وبأفراده ونظمه، فهى تحمل الأفراد على التفكير فى أعمالهم على أنها محاولات للوصول إلى أهداف هى غايات فى حد ذاتها، وليس على أنها مجرد أعمال لإشباع الرغبات والشهوات. ولذلك فإن القيم والمثل العليا فى أية جماعة هى الهدف الذى يسعى جميع أعضائها للوصول إليه، والمثل الأعلى فى المجتمع الإسلامى هو محمد ﷺ، والمنهج الذى بُلِّغ به من قبل الله تعالى باعتباره المثل الأعلى.

- تزود المجتمع بالصبغة الملائمة التى تربط بين نظمه الداخلية من اقتصادية وسياسية وإدارية، وبالتالى تحوطه بسياج حام من التفكك والانحلال.

(جـ) على مستوى العلاقات الدولية:

إن وظيفة القيم الأخلاقية - كما حددها القرآن الكريم وكما جاءت فى السنة المطهرة - قد تتجاوز فى أحيان كثيرة الفرد والمجتمع إلى إطار أرحب وأوسع، ألا وهو مجال العلاقات الدولية فى وقتى السلم والحرب على السواء، ويتضح ذلك من تأمل ما يلى:

(١) فى حالة السلم:

- مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾ (١).

- عدم إكراه أحد على الدخول فى الدين: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ (٢)، ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ (٣).

- عدم إثارة الأحقاد أو الكراهية: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾ (٤).

- ترك الاستبداد والفساد فى الأرض: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ (٥).

- الحفاظ على أمن المحايدين: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾ (٦).

- حسن الجوار وإقامة العلاقات الدولية على أساس من العدالة والبر: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ (٧).

(٢) فى حالة الحرب أو الخصومة:

يتجلى دور القيم الإسلامية فى هذه الحالة فى النقاط الآتية:

- ترك المبادرة بالشر أو العدوان: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ (٨).

- النهى عن القتال فى الأشهر الحرم أو الأماكن المحرمة:

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٦.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦.
(٣) سورة الغاشية من الآية ٢١ - ٢٢.
(٤) سورة الأنعام الآية ١٠٨.
(٥) سورة القصص الآية ٨٣.
(٦) سورة النساء الآية ٩٠.
(٧) سورة الممتحنة الآية ٨.
(٨) سورة المائدة الآية ٢.

- ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

- ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾[2].

وهـذه القواعد الأخلاقيـة المتعلقة بتحريم القتال فى أزمنة معينـة وأماكن معينة لاتزال تشـكل أساسًـا متينًا فى العلاقات الدولية، إذ يجب على الأطـراف المتحاربة تجنب القتال فى أوقات الهدنة المتفق عليها سـلفًا، قياسًـا على حرمة القتال فى الأشهر الحرم التى كانت بمثابة هدنة عند العرب قبل الإسـلام فى هذه الأشـهر، ثم أقرها الإسلام على ذلك، كما أنه يجب تجنب دور العبادة والتعليم وما أشبهها من ويلات الحروب وآثارها المدمرة.

- عـدم التعرض للمدنيين وقتال المقاتلـة وحدهم: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[3].

- الوفـاء بالمعاهـدات المبرمـة بـين أطـراف النـزاع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾[4].

- الوفـاء بجميع الالتزامات قبل الطرف الآخر حتى ولـو كانت غير مواتية: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[5].

- مراعاة الأخوة الإنسـانية باعتبارها رباطًا مقدسًا يسمو على الأجناس والأنواع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[6].

- وأخـيرًا يدعـو القرآن الكريم المحاربين المسـلمين إلى التحلى بالصـبر كما يدعوهم إلى الوحدة والثبات وعدم الخوف من ملاقاة الأعداء مهما كثروا[7]. يقول الله تعالى:

(١) سورة التوبة الآية ٣٦.
(٢) سورة البقرة الآية ١٩١.
(٣) سورة البقرة الآية ١٩٠.
(٤) سورة المائدة الآية ١.
(٥) سورة النحل الآية ٩١.
(٦) سورة النساء الآية ١.
(٧) بتصـرف واختصار من دسـتور الأخلاق فى القرآن الكريم د. محمـد عبد الله دراز - دار المعرفة الجامعة - الإسكندرية.

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

ثالثًا: وسائل تنمية القيم الخلقية

لتنمية القيم الخلقية فى المجتمع الإسلامى وسائل عديدة ومتنوعة منها:

١ - العبادات:

العبادات هى الأسلوب العملى والوسيلة الأولى فى التربية (أى عبادة الله حق العبادة) إلا إن العبادات ليست من وسائل التربية الروحية فقط، ولكنها من وسائل تربية الإنسان المسلم ككل.

فالصلاة تربى الإنسان خلقيًا وعقليا، فهى تربط الإنسان المسلم بالله، كما أنها تقوى إرادة الإنسان المسلم وتعوده على ضبط النفس والصبر والمثابرة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٣).

وفى الصوم تربية خلقية رفيعة، والأثر التربوى للصوم يتلخص فى تربية الروح، وتربية الخلق حيث يتعود الإنسان المسلم على ضبط نفسه ومكافحة شهواته وبذلك تتقوى الإرادة، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤).

كما أن فى الصوم تربية خلقية يؤكد هذا الحديث الذى روته السيدة عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» [رواه أبو داود].

وفى الزكاة تربية روحية وخلقية، فعن طريقها تعلم المسلم إطاعة الأوامر الإلهية ومكافحة الأنانية، والإفراط فى النزعة المادية والفردية، والقرآن الكريم ينظم هذه الفريضة ويجعل لها هدفًا هو فى غاية السمو ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥).

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٠٠.
(٢) سورة الأنفال الآية ٤٥.
(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٥.
(٤) سورة البقرة الآية ١٨٣.
(٥) سورة التوبة الآية ١٠٣.

٢ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتواصى بالحق والصبر من أساليب التربية الإسلامية التى بدت واضحة ومهمة خلال أحاديث المربى العظيم رسول الله ﷺ، وفى طريقة التواصى دعوة لكل مسلم إلى أن يكون مربيا يعلم أخاه المسلم أصول التربية، وفى التذكير بالخير والحق والدعوة إليهما، والتنبيه إلى الشر والضرر والنهى عنهما، هو من صميم الأساليب التربوية الإسلامية لتنمية القيم والأخلاق الإسلامية فى نفس المسلم.

٣ - ضرب الأمثال:

إن ضرب الأمثال وسيلة تربوية هامة تلعب دورًا هامًا فى التأثير على سلوك الإنسان وفى غرس القيم الإسلامية لدى المسلم - والنشء بالذات - فيما لو استعملت بحكمة وفى الظروف المناسبة، ولذلك أبرزها القرآن واهتم بضربها: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

وفى الحديث الشريف: «إنما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارًا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيها» [رواه الشيخان].

٤ - الموعظة والنصح:

التربية بالوعظ لها دور هام فى غرس القيم الإسلامية بميادينها المختلفة، وهى قد تكون فى صورة مباشرة على شكل نصائح، والقرآن الكريم زاخر بالمواعظ:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (٢).

ومن السنة: روى البخارى فى الأدب أن رسول الله ﷺ قال: «خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن: البخل وسوء الخلق».

وهكذا يبدو دور الوعظ كوسيلة فى التربية الإسلامية تصلح أيضًا فى التربية الخلقية والاجتماعية وباقى الميادين الإسلامية.

٥ - القدوة:

وللقدوة أثر عظيم فى عملية التربية، وخاصة فى مجال الاتجاهات والقيم، وكان الرسول ﷺ هو قدوة المسلمين طبقًا لما نص عليه القرآن: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾﴾ (٣).

(١) سورة الحشر الآية ٢١.

(٢) سورة يونس الآية ٥٧.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١.

وقد استطاع بفضل تلك القدوة أن يحمل أمته على قيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه، لا بالأقوال فقط وإنما بالسلوك الواقعى الحى، وقد حرصوا على تتبع صفاته وحركاته ورصدها والعمل بها، وما ذلك إلا حرصًا منهم على تمثل أفعاله ﷺ لأنه المثل الأعلى لهم.

٦ - القصة:

وهى من أكبر الوسائل فعالية فى تنمية الأخلاق، وقد استخدمها الرسول ﷺ، وحرص على أن يضمنها الكثير من الأخلاق الإسلامية، إما من أجل توضيحها أمام المسلمين من ناحية، وإما من أجل تعميقها فى نفوسهم من ناحية ثانية.

وقد كانت القصة القرآنية وسيلة من وسائل التربية وتنمية القيم الخلقية الإسلامية، وذلك باستخراج العبرة من قصص الأمم السابقة، والتحذير من الكفر والجحود، يقول تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (١).

وفى الحديث الشريف قد تستخدم القصة كوسيلة من وسائل تنمية الأخلاق الإسلامية وعلى سبيل المثال هناك قصة وردت فى الحديث «عن الأخوة الثلاثة الذين أووا للمبيت إلى الغار فدخلوه» فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار» (٢)، وفى هذه القصة تربية خلقية وآداب اجتماعية، ففيها احترام الأبوين والعفة والطهارة والخوف من الله.

٧ - السؤال والحوار والمناقشة:

وقد استخدم الرسول ﷺ هذه الطريقة، فكان يجيب المسلمين عمًا يعن لهم من أسئلة تواجههم مع تلبسهم بأمور الدنيا معطيًا كل سؤال حقه من الإجابة، إيجازًا وتفصيلاً تبعًا لمقتضيات الحال، والإجابة دائمًا شافية كافية ونذكر هنا بعض الأسئلة بإيجاز:

يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة ركبت البحر فنذرت إن نجاها الله أن تصوم شهرًا، فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت، فجاءت بنتها أو أختها إلى النبى ﷺ فأمرها أن تصوم عنها. [رواه النسائى].

وعنه أيضًا قال: استفتى سعد بن عبادة رسول الله ﷺ فى نذر كان على أمه، توفيت قبل قضائه، فقال رسول الله ﷺ فاقضه عنها. [رواه مسلم].

أما سؤال النبى ﷺ فأمثلته كثيرة وهى تدل على حرص النبى ﷺ على تعليم المسلمين

(١) سورة يوسف الآية ٣.

(٢) انظر نص الحديث الشريف كاملا فى مبحث الإخلاص.

أمر دينهم وغرس القيم لديهم، من ذلك ما يروى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهى مثل المسلم، حدثونى ما هى؟

فوقع الناس فى شجر البادية، ووقع فى نفسى أنها النخلة، قال عبد الله فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها؟ فقال رسول الله ﷺ: هى النخلة، قال عبد الله فحدثت أبى بما وقع فى نفسى، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلى من أن يكون لى كذا وكذا» [1].

هذه بعض وأهم وسائل تنمية القيم الخلقية الإسلامية ولكنها ليست على سبيل الحصر فهناك طرق ووسائل أخرى كثيرة حققت نتائج تربوية بالغة الأهمية فى غرس القيم الإسلامية.

(١) انظر الحديث الشريف. صحيح البخارى. جـ ٣، ص ١١٩.

الفصل الثانى

الأخطار التى تهدد المجتمع الإسلامى [1] فى الأخلاق والعادات والتقاليد

تصدير المنكرات إلى بلاد المسلمين

اكتسحت بلاد المسلمين فى عصرنا الحاضر موجة عاتية من المنكرات الوافدة علينا من الغرب الأوروبى والأمريكى أصابت الأسر والبيوتات، ومعاهد العلم والجامعات، فما من أسرة مثقفة أو غير مثقفة إلا نالت منها نصيبًا موفورًا، سواء فى ذلك الرجال والنساء والأولاد والبنات، كما لم تسلم منها طوائف المجتمع وطبقاته، إلا من عصمه الله.

ولقد أحدثت تلك الموجة ريح السموم الآتية من الغرب الحاقد آثارها، وهيجها شياطين الفكر الغربى الذين استغووا الناس بالفتن، وزينوا لهم المعصية فتهوروا فى ظلماتها حتى صرفوهم عن الرشد وأسلموهم إلى مهاوى الضلال، ولا يعلم أحد إلا الله متى تهدأ ريح السموم هذه كى تنحسر موجة المنكرات فتعود الأمور إلى طبيعتها، والحياة إلى نضارتها.

١- تصدير العقائد الزائفة

يموج العصر الحديث بمذاهب متعددة فى كل مجالات الحياة، والسمة الغالبة على معظم هذه المذاهب هى المادية النفعية التى تظهر تحت أسماء مختلفة مثل: المذهب التجريبى، والمادية الجدلية، والوجودية، ومذهب التطور أو النشوء والارتقاء، وغيرها من الأسماء التى تعرفها المحافل العلمية والفلسفية والتى يغلب على معتنقيها فكر غلاب أساسه الإيمان بالمادة [2].

إن خطر الفكر المادى علينا كمسلمين يتمثل فى محاربة العقيدة السماوية التى نؤمن بها، وما يمثله هذا من هدم لكل خير فى حياة الإنسان، وتسفل إلى مرتبة الحيوان الأعجم الذى لا هدف له غير إشباع مطالبه (البيولوجية) كما يتمثل هذا الخطر فى محاولة القضاء على هويتنا كأمة تعتنق الدين الخاتم الذى جعله الله منقذًا للبشرية من تعاستها وماديتها.

---

(١) مادة هذا البحث (الفصل الثانى) مقتبسة وبتصرف من مجموعة توجيهات تربوية جاءت على لسان نخبة من رجال الفكر الإسلامى مثل الشيخ محمد الغزالى، د. يوسف القرضاوى، إبراهيم نافع، د. حسن عباس زكى، أنور الجندى، فتحى رضوان، وكثير غيرهم، وقد جمعها د. كمال الدين عبد الغنى المرسى فى كتابه من قضايا التربية الدينية فى المجتمع الإسلامى الفائز بالجائزة الأصلية لوقف الفنجرى لخدمة الدعوة والفقه الإسلامى.

(٢) المصدر السابق عن كتاب الدراسات الدينية للتأهيل التربوى/ عبد البديع عبد العزيز الخولى، بتصرف.

ثم ماذا قدمت لنا حضارة الغرب؟ أو حضارة الشيوعية؟ إنهم قدموا لنا السيارة والقاطرة والباخرة والطائرة والأجهزة المتعددة لخدمة أغراض الإنسان النفعية، كما قدموا لنا أسلحة الدمار الشامل. وهل هذه الحضارة المادية فى علوم الجمادات يصح أن يطلق عليها اسم الحضارة بمفهومها الشامل؟ إنها حضارة ناقصة تفتقر إلى الأخلاق.

وكما قال شاعرنا:

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتمًا وعويلاً

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وليس بعامر بنيان قوم ... إذا أخلاقهم كانت خرابا

إنهم يقدمون لنا العنف والإرهاب بشتى أنواعه تشهد على ذلك أفلامهم السينمائية، إنهم يقدمون لنا الجنس والشذوذ فى شكله البغيض، ويتاجرون فى الأعراض حتى لا يكاد الإنسان منهم يعرف أباه، واختلطت عندهم الأنساب لأن النسب لا قيمة له فى عرفهم، حتى انتشرت فيهم الأمراض التى لا علاج لها، لاسيما الإيدز الذى يعانون منه وكفى به مصيبة تهدد الأرحام وتقتل الإنسان.

ومن أسوأ ما تجرأوا عليه فى علومهم أنهم اخترعوا ما يسمى بالهندسة الوراثية ويبحثون فى إمكانية أن الرجل يحمل ويلد بعد سبعة أشهر كما جاء فى الخبر:

(أكد البروفسير د. إدموند كوتقينو أن العلم يستطيع الآن تحقيق رغبة الرجل فى الحمل والولادة، وأن ذلك أصبح ممكنًا بعد نجاح التجارب علىَ الحيوانات بأن يتم حقن الرجل بهرمون يمنع جسمه من إنتاج هرمون الذكورة، ثم يحقن بهرمون آخر لإيجاد مناخ مناسب لنمو الطفل، ثم يزرع له جنين فى تجويف البطن ويمكن توليده بعد سبعة شهور بعملية قيصرية)[1].

٢ - تشويه صورة الإسلام فى الغرب

يرمى أهل أوربا والدول الاستعمارية الموصوفة بالدول المتقدمة المسلمين بالتخلف والجمود، ويوهمون المسلمين دائمًا بأنهم يتمسكون بالماضى والدين ولا يتطورون بتطور الحياة، ويقارنون بين تقدمهم فى علوم الطبيعيات وعلوم الصناعات وبين تخلف دول العالم الإسلامى فى هذا المضمار.

فينسبون تخلف المسلمين إلى تمسكهم بالدين واعتقادهم المتين فى منهجه. وتلك مقارنة ظالمة فيها إجحاف بالمسلمين واتهام لا يليق بالدين الإسلامى الحنيف الذى يحقق السعادة لكل البشر إذا ما اتبعوا تعاليمه وساروا على نهجه، وهل تحققت السعادة للناس فى أوربا بسبب هذا التقدم الحضارى المزعوم؟!.

---

(١) جريدة الأهرام: ١٤/ ٦/ ١٩٩٦.

إن مـا يصفونه بالحضارة هو فى الواقع ليس بحضارة، لأن غاية الحضارة تحقيق الأمان للفرد فـى مجتمعه حتى يعبد الله عز وجل وهو آمن فى سـربه، لكنا لا نجد معنى للأمان عند هؤلاء.. وبالتالى لا تتحقق العبادة الخالصة لله، ولهذا تنتفى صفة الحضارة الحقيقية، ويشهد لذلك تخبط أهل تلك البلاد فى أمور حياتهم وظهور الفسوق فى مجتمعاتهم وأنهم يأتون فى نواديهم المنكر.

إن الإسلام نظام تقدمى، ولا يعيبه أنه لم ينهض به أهله فى الأزمان المتأخرة لما أصابهم من أحوال الضعف والتفكك، ولما أصابهم من عسف المستعمرين الذين دخلوا أراضيه بالقوة والعنف فعاثوا فيها الفساد ردحًا طويلاً من الزمن. ولو كان المستعمرون ذوى حضارة كما يزعمون لتركوا فى البلاد أثاره من الخير، لكنهم كما وصفهم أمير الشعراء أحمد شوقى بقوله:

وللمستعمرين وإن ألانـوا قلوب كالحجارة لا ترق

أما المسلمون فإنهم حين فتحوا البلاد التى دخلوها أيام عزتهم فقد تركوا من أسباب الخير لهذه البلاد ما يجل عن الوصف، والتاريخ يشهد على ذلك.

لقد كتب بعض مفكرى عصرنا يقول:

هناك عدة نقاط يسـوقها أعداء الإسـلام للتشـكيك فى صلاحيته كفلسفة شاملة فى عصرنا الحديث. وأول ما يدعى من ذلك قولهم: إن الإسلام الذى كان صالحًا للبدو الحفاة قبل أربعة عشـر قرنًا لم يعد يصلح فى عهد المدنية والحضارة، عصـر الصواريخ والذرة والتكنولوجيا.. وقالوا: إن الإسلام يحرم البشر من ثمرات الحضارة الحديثة والأخذ بوسائل المدنية..

وهذه دعوى باطلة لا يقول بها إلا من لم يعرف تاريخ هذا الدين وحضارته. حقا نزل الإسلام فـى قوم من البدو بلـغ من جفوتهم وغلظتهم أن قال الله تعـالى فى وصفهم: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1]، فكانـت معجزته أن جعل من هؤلاء الأجلاف أمة وسـطا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتهدى البشرية إلى ما اهتدت إليه من الخير، وفى هذا دليل على قدرة الإسلام على تطويع النفوس وتهذيبها.

ولم يكتف الإسـلام بهذا وإنما فسح صدره فضم إليه كل مظاهر الحضارات والمدنيات التى وجدهـا فى الأقطار المفتوحة وتبناها.. تبنـى الحضارات التى وجدها فى مصر وفارس وبلاد الـروم مادامت لا تخالـف عقيدته فى وحدانية الله ولا تصرف النـاس عن الخير الذى يدعو إليه. وتبنى الحركات العلمية التى كانت لليونان من طب وفلك ورياضيات وطبيعيات وفلسفة ومنطـق، وأضاف إليها حضارة المسـلمين الرائعة فى الأندلس وصقليـة، وهو ما قامت عليه نهضة أوربا الحديثة واكتشافاتها فى العلم والابتكار.

(١) سورة التوبة الآية ٩٧.

وبنفس النظرة فإن الإسلام لا يقف من أية حضارة معاصرة موقف العداء طالما كانت تدعو إلى ما يدعو إليه من الخير، كما أن الإسلام لا يدعو بصورة من الصور إلى الانعزال الفكرى أو المادى ولا يعادى الحضارات الأخرى عداء شخصيًا أو عنصريًا أو دينيا. أما إذا كانت الحضارة عند هؤلاء تعنى التحلل من القيم والانسياق وراء التهتك والانحلال ومعاقرة الخمر والميسر.. فإن الإسلام حينئذ - حفاظا منه على شخصيتنا الحضارية ومقومات وجودنا - يقف فى وجه هذا المنكر ويقيم نفسه حاجزًا منيعًا بين أبنائه وبين التردى فى تلك المهاوى[1].

٣ - تصدير السفور واختلاط الجنسين

تعتمد تقاليد الغرب الحديثة على:

(أ) التسوية المطلقة بين الرجل والمرأة فى المكانة الأدبية والمادية.

(ب) إقامة المجتمع على الاختلاط التام وترك المرأة تتقلب فيه حيث تشاء.

(جـ) النظر إلى الناحية الجنسية على الاستقلال الشخصى والتصرف الطبيعى.

ولهذه التقاليد الغربية عشاق يدعون إليها، وقد بدأ مجتمعنا ينساق نحوها أو قل ينحدر إليها[2]. وقد أدى ذلك إلى ظهور الانحلال الخلقى فى المجتمع.

ومن العوامل التى أدت إلى التحلل الخلقى، واستمرار هذا الانحلال. الأدب المنحل المتمثل فى السينما والمسرح بما يعرض فيها من الفحش، وانتشار الفيديو وأفلامه الخاصة، وكذلك التليفزيون فى بعض برامجه حتى إن دولة كبرى تعرض فيها قناة خاصة تعمل ٢٤ ساعة لطالبيها باشتراك خاص. وتقدم لهم ذلك المستوى الهابط الذى يراه المرء فى بعض أنواع الحيونات التى لا تعقل. لقد أدى ذلك كله ثمرته الخبيثة وحصاده المر، فضلاً عن خروج المرأة عارية أو شبه عارية وإقامة أسواق «لجمالها» كأسواق النخاسة[3]. سواء بسواء!! وأصبحت المرأة التى كرمها الله عز وجل وسيلة إعلان ورواج للتجارة والمال والبيع والشراء!!

فإذا أضيف إلى هذا وهن العقيدة وضعف الأخلاق، وفتور الحاسة الدينية وجفاء العطاء المتجدد لديانتهم وعدم تلبيتها ومواءمتها لحياتهم رأينا إلى أى حد هيجت الغريزة، وألهبت نيران الشهوة، وحطمت الأخلاق، وانهارت الأسرة وانتشر فيها إدمان المخدرات[4].

---

(١) بتصرف من قضايا التربية الدينية فى المجتمع الإسلامى/ كمال الدين عبد الغنى، ص ٢٠٦.

(٢) من هنا نعلم/ محمد الغزالى، ص ١٤٢.

(٣) النخاسة: سوق الرقيق والدواب.

(٤) مقال بعنوان: من الأخطار التى تهدد مجتمعات المسلمين: الانحلال الخلقى فى المجتمعات الأخرى من كتاب الدراسات الدينية الإسلامية/ عبد البديع عبد العزيز الخولى.

إن واقع الحال يقول: إن المرأة الغربية فى تعاسة وبؤس لأن الفواحش قد طغت فى المجتمع الغربى طغيانا لا حد له، طغيانًا ضاعت فيه الأنساب وكثرت فيه العقد والاضطرابات النفسية.

إن للانحلال الخلقى فى المجتمعات غير الإسلامية عوامل عديدة أدت إليه، من بينها تلك الثورة الصناعية الكبيرة التى قلبت الموازين فى عالم الناس والأشياء وهذه الدعوات المستمرة إلى المساواة (الكاملة) بين الرجل والمرأة التى أدت إلى إخراج المرأة من بيتها ليكون لها وظيفتان فى المجتمع، فى الأسرة كشريكة ندًا لند، وفى المجتمع كعضو عامل فيه، وقد كان لهذا الخروج والاختلاط بالرجال أثر كبير وفعال فى الانحلال الخلقى وبخاصة أنه واكب هذه الدعوات إلى المساواة والاختلاط دعوة أخرى إلى أن للمرأة الحرية المطلقة فى جسدها تتصرف فيه كما تتصرف فى رأيها ولون ثيابها سواء بسواء! أو كشربها لفنجان قهوة كما قالت إحدى نساء الشرق فى مجلة نسائية [1].

ونحن فى بلادنا العربية والإسلامية يمنعنا ديننا الحنيف من امتهان المرأة، ويأمرنا بالمحافظة عليها، على نضارتها وعلى طهارتها وعلى صيانتها من كل سوء، وهى فى منهج هذا الدين من أهم أركان المجتمع، إذ يسند إليها أخطر الصناعات وأجلها وهى صناعة الرجال.

وقد رسم الإسلام للمرأة علاقتها بالمجتمع وبين لها طريق الحلال وطريق الحرام عند إقامة هذه العلاقة، ولكن المفسدين الماديين يطمسون نور الحق بتدليسهم على النساء ويروجون للفوضى والفساد فيهونون من أمر الاحتشام والاحترام ويسمحون لخروج المرأة على غير ما أمر الدين ودعا الشرع.

ونجد فى هذا العصر بعض الذين تأثروا بالثقافات الأجنبية ينادون بتطبيق الاختلاط بين المرأة والرجل والفتاة والشاب مدعين أن لهذا الاختلاط منافع كثيرة، منها حل لغز المرأة فى حياة الرجل، وتحقيق حسن المعاشرة بين الجنسين وإثارة التنافس بينهما، والائتناس بينهما وسكون كل منهما للآخر، وهم فى ذلك إنما يدعون إلى المحرمات فتكون نتيجة هذا الاختلاط الإفضاء الجنسى المحرم الذى يزين الفاحشة ويوقع فيها، وتكون المرأة فى النهاية هى الضحية.

إنك تجد الدعوة لهذا الاختلاط تكفل بها ناس كثيرون من الكتاب والمفكرين والإذاعيين والإعلاميين ممن تأثرت عقولهم بالثقافات الأجنبية التى لا يحكمها دين ولا تنظمها شريعة. فالجرائد والمجلات والكتب تعرض أمام أعين الناس دعاوى أولئك المفسدين بالإضافة إلى الإذاعة والتليفزيون اللذين يملآن أعين وآذان الناس بأصوات الفنانين والفنانات ومسلسلات الكذب والبهتان التى تدعو الناس إلى قبول الاختلاط كما تعمل على تهيئة النفوس لاعتباره

(١) المصدر السابق.

شيئًا طبيعيًا لا غبار عليه [1].

كما أن الدعوة إلى الاختلاط تمتد إلى الجانب الاقتصادى فترفع من نسبة الاستهلاك للمواد الكمالية المتمثلة فى مواد الزينة للنساء، لأن المرأة تريد أن تظهر بزينتها فى مجتمع الاختلاط، وتسرف فى استعمال مواد الزينة المختلفة والثياب وغير ذلك من الأشياء التى تعمل على حسن المنظر وبهجة المظهر.

أما فى مجال التعليم فنجد الاختلاط بين الجنسين فى الجامعة صار سنة متبعة، وكان الاختلاط فى بدء الأمر فيه احتشام وفيه احترام، لكن مع طول العهد ومرور الأعوام، ومع فعل المسلسلات الإذاعية وفساد الإعلام تخلت الطالبات - فى الأغلب - عن الاحتشام وصرن يحرصن على لقاء الشباب، ولم يعد هناك غض للأبصار ولا احترام للحرمات وأصبح حرم الجامعة مباحًا للقاء الجنسين واستئناس كل منهما بالآخر، ولا نجد فى ذلك غضاضة من أحد وإنه لشىء ينذر بالسوء ويؤذن بوقوع الكوارث والنكبات.

وقد حرم الإسلام على المرأة أن تلبس من الثياب ما يصف وما يشف عما تحته من الجسد، ومثله ما يحدد أجزاء البدن، وبخاصة مواضع الفتنة منه كالثديين والخصر والردف ونحوها [2].

وفى الصحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» [رواه مسلم].

والبخت نوع من الإبل، عظام الأسنمة، شبه رءوسهن بها، لما يرفعن من شعورهن على أوساط رءوسهن، وكأنه ﷺ كان ينظر من وراء الغيب إلى هذا الزمان الذى أصبح فيه لتصفيف شعور النساء وتجميلها وتنويع أشكالها محلات خاصة (كوافير) يشرف عليها غالبًا رجال يتقاضون على عملهم أبهظ الأجور.

وليس ذلك فحسب فكثير من النساء لا يكتفين بما وهبهن الله من شعر طبيعى، فيلجأن إلى شراء شعر صناعى تصله المرأة بشعرها ليكون أكثر نعومة ولمعانًا وجمالاً، ولتكون هى أكثر جاذبية وإغراء.

والرسول ﷺ ينهى النساء عن وصل الشعر ويلعنهن لما فى ذلك من تغيير لخلق الله، عن ابن عمر رضى الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة».

[رواه الشيخان].

---

(١) من هنا نعلم/ محمد الغزالى، ص ١٥٩.

(٢) الحلال والحرام/ يوسف القرضاوى، ص ٨٤.

٤ - تشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة

أعلن النبى ﷺ أنه من المحظور على المرأة أن تلبس لبسة الرجل، ومن المحظور على الرجل أن يلبس لبسة المرأة [١]، ولعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال [٢].

ويدخل فى ذلك: التشبه فى الكلام والحركة والمشية واللبس وغيرها. وبسبب الاختلاط تشبهت البنات بالبنين وتشبه الفتيان بالفتيات حتى ليصعب على الرائى فى بعض الأحيان أن يميز بين الذكر والأنثى فى زحام الطلبة والطالبات لتشابه الجنسين فى الملبس.

إن شر ما تصاب به الحياة، وتبتلى به الجماعة، هو الخروج على الفطرة، والفسوق عن أمر الطبيعة، والطبيعة فيها رجل وفيها امرأة، ولكل منهما خصائصه، فإذا تخنث الرجل واسترجلت المرأة، فذلك هو الاضطراب والانحلال، وشبابنا من الجنسين - فى الأغلب الأعم - لا يعلمون الحلال ولا الحرام فى الملبس والمظهر، أو إنهم يعلمون لكنهم لا يجدون من يقول لهم هذا خطأ أو هذا صواب، فضلاً عن غياب القدوة سواء فى المنزل أم المدارس التى تعلموا فيها قبل أن يصلوا إلى رحاب الجامعة، بالإضافة إلى ما يعرضه التلفاز ليلاً ونهارًا من برامج ومسلسلات تدعو إلى هذا الفسق إما صراحة وإما ضمنًا، ولهذا شاع أمر السفور والتخنث على أنه عادة العصر أو من موجبات التطور والتمدن.

٥ - تصدير العلمانية وإبعاد الدين

العلمانية اصطلاح حديث يقصد به ما ليس دينيًا ولا كهنوتيًا، ولعله مشتق من لفظ العالم، ويمكن تلخيص هذا المصطلح فى أنه (الإيمان العقلى المادى).

والعلمانية باختصار شديد هى فلسفة جديدة فى العالم الغربى، (الأوربى الأمريكى) ترمى إلى تهميش الدين، وإلغاء الإيمان بالغيب وتنصيب الإنسان إلها جديدًا، مع الاعتراف فقط بالعقل والمادة والشىء المحسوس الملموس.

ويرى الأستاذ فتحى رضوان أن أصول العلمانية ترجع إلى ردود الفعل لثورة مارتن لوثر فى سنة ١٥٢٠م على البابا وانتقاده العنيف إياه لبيع صكوك الغفران للعصاة والخاطئين من المسيحيين مقابل مال كثير يدفع للبابا ويضمن لهم دخول الجنة، وقد ساد الخلاف بين الثورة والقديسين وسخط لوثر على القديسين وقد ترتب على هذا الخلاف تجريد الدولة من

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائى.

(٢) رواه البخارى وغيره.

كل نشاط ديني وعدم تحميل ميزانية الدولة شيئا من نفقات الكنائس والأديرة وتحريم التعليم الديني في المدارس والمعاهد الحكومية [1].

ولما كانت العلمانية ترمي إلى التقليل من شأن الدين، فإنها أثرت في نفوس ضعاف الإيمان، وصار الاعتقاد الديني عند بعض دول الغرب معتركًا صعبًا تغشاه موجات من الشك، ويصحبه شيء من الاضطراب والحيرة حتى تمرد الشباب وخرج معظمهم عن حدود المألوف حيث تبلبلت أفكارهم، وصار الدين بالنسبة لهم غريبًا عنهم ولم تعد تؤثر فيهم نصائح القديسين ومواعظ القسيسين.

وبلغ من معاداتهم للأديان السماوية أنهم قالوا: إن الدين أفيون الشعوب، وقائل هذه العبارة هو كارل ماركس والسبب الذي قال من أجله (إن الدين أفيون الشعوب) يرجع إلى الظلم الذي كان يعانيه الفلاحون في روسيا وأوربا من الإقطاعيين حيث كان الألوف من الفلاحين يموتون جوعًا كل عام بينما يعيش الاقطاعيون في ترف وبذخ، وكانت روسيا في هذا الوقت مسيحية، وكان رجال الدين ينصحون الناس بالتذرع بالصبر ويقولون لهم: (لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا. ومن أخذ رداءك فاترك له الثوب أيضًا) [2]، وراحوا من ثَمَّ يصرفونهم عن إحساسهم بالألم ويعدونهم بنعيم الآخرة الذي أعد للصابرين على الظلم والراضين عن الشقاء مرغبين ومرهبين، فمن عصى سيده الإقطاعي فقد عصى الله والكنيسة، وكانت الكنيسة نفسها لونًا من ألوان الإقطاع إذ كان لها ملايين الرقيق الذين تستعبدهم في أرضها لحسابها الخاص، ولهذا كان وقوف الكنيسة إلى جانب القيصر والأشراف ضد الشعب الكادح أمرًا طبيعيًا، فإن لم يفلح الترغيب والترهيب كانت العقوبات توقع على المتمردين على نفوذ الكنيسة باسم الخروج عن الدين والإلحاد بآيات الله.

ولهذا قال كارل ماركس آنذاك: بسبب هذه الملابسات الخاصة: (إن الدين أفيون الشعوب) لأن رجال الدين المسيحيين والكنيسة كانوا عدوًا حقيقيًا للشعب ولحقوقه المغتصبة، وكانت قولته تلك صادقة في موضعها، ولكن ضفادع الشيوعية في الشرق الإسلامي تنق بها هنا وراءه أيضًا ويسحبونها على الإسلام ظلمًا وزورًا وبهتانًا، وليس في هذا شيء من الصدق أو الحق ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [3].

---

(١) الإسلام ومشكلات الفكر/ فتحي رضوان، ص ١٨٥.

(٢) إنجيل متى.

(٣) سورة التوبة الآية ٣٢.